الحالة النفسية للإمبراطور أغسطس جراء الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج Teutoburg عام ٩م.

كريمة رمضان رفاعـي رمضان
أستاذ التاريخ اليوناني والروماني المساعد
قسم التاريخ-كلية الآداب-جامعة كفرالشيخ

انفرد المؤرخ سويتونيوس Suetonius (٦٩م-١٢٢م) عن غيره من المؤرخيين بأنه أشار بشئ من التفصيل للحالة النفسية التي انتابت الإمبراطور أغسطس عقب سماعه نبأ الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج في سبتمبر عام ٩م، ولقد أشار لها في كتابه سير الأباطرة في الجزء الخاص بحياة الإمبراطور أغسطس، وبالتحديد في الفصل الثالث والعشرين الفقرة الثانية، وبعد تحليل هذه الفقرة سوف تحاول هذه الدراسة طرح ثلاثة أسئلة ومحاولة الإجابة عنها؛ ولعل هذه الأسئلة هي: ما هي طبيعة الحالة النفسية التي أصابت الإمبراطور عقب الهزيمة؟ لماذا أصاب الإمبراطور أغسطس حالة نفسية عقب الهزيمة في هذه الموقعة بالذات؟ والسؤال الأخير هل تجاوز الإمبراطور هذه الأزمة النفسية؟.

The psychological state of Emperor Augustus as a result of the defeat in the Battle of Teuteberg in 9 AD.

The historian Suetonius (69 AD-122 AD) is unique from other historians in that he referred in some detail to the psychological state that afflicted Emperor Augustus after he heard the news of the defeat at the Battle of Teutoberg in September 9 AD and he referred to it in his book Biographies of the Emperors in the part on the life of Emperor Augustus, specifically in Chapter Twenty-Three, the second paragraph, and after analyzing this paragraph, you will try This study raised three questions and attempted to answer them in the light of what was stated in the folds of this paragraph. Perhaps these questions are: What was the nature of the psychological state that afflicted the emperor after the defeat? Why did Emperor Augustus suffer a psychological state after the defeat in this particular battle? And the last question, did the Emperor overcome this psychological crisis?.

ركزت بعض الدراسات التاريخية على سيرة الإمبراطور أغسطس(٦٣ق.م-١٤م) بشكل كبير، واهتمت هذه الدراسات بحياته الشخصية ثم فتره عمله السياسي سواء قبل توليه الحكم أو بعد ذلك، ولقد أشارت هذه الدراسات لعمليات التوسع التي كان يهتم بها لتوسيع إمبراطوريته، حيث كان حريصًا على هذا التوسع في جميع الاتجاهات، كما كان مهتمًا في ذات الوقت بتأمين حدود الامبراطورية إلى حد كبير. (١)

وبجانب هذه الدراسات خرجت لنا مجموعة من الدراسات الحديثة عن معركة غابة تيوتوبيرج تلك المعركة التي وقعت بين القبائل الجرمانية والقوات الرومانية في سبتمبر عام

(١) **من أهم الدراسات التي ركزت على فترة حكم الإمبراطور أغسطس وعلى سبيل المثال لا الحصر:**

A.Goldsworthy,AugustusFirst Emperor of Rome,London,2014;P. Wegen,Augustus and the PrincipateThe Transformation From Republic to Empire:The Unique Properties of the Principate,London,2012;D. Shotter, Augustus Caesar, London and New York, 1991;A. Brunt Social Conflicts in the Roman Republic. New York, 1971. - L. Andrew, The Constitution of the Roman Republic. Oxford, 1999. - G. Rosenstein, Rome at War. Farms, Families, and Death in the Middle Republic, London, 2004. - E. Rawson, The Cambridge Ancient History, 2nd Ed., Vol. 9: The Last Age of the Roman Republic, 146–43 B.C., Cambridge University Press, 1994; G.Emilio, Republican Rome, the Army and the Allies. Oxford, 1976.

وفي واقع الأمر اتبع أغسطس أسلوبان أساسيان لفرض سيطرته على كثير من أقاليم البلدان المجاورة لحدود إمبراطوريته، وهما الأسلوب الحربي القائم على الحروب المباشرة، والأسلوب السلمي القائم على تبادل السفارات الدبلوماسية والتي يستطيع من خلالها فرض نفوذه وهيمنته إلى حد بعيد، ولعل وصف استرابو لأغسطس بأنه "سيد الحرب والسلام"، يؤكد أن أغسطس كان يعتمد على أسلوبي الحرب والمعاهدات بشكل متوازٍ لتحقيق أهدافه،. انظر: Strabo. Geography, 17.3.25.

ولعل أهم انجازات أغسطس الدبلوماسية في هذا الصدد هو سيطرته على بعض الأقاليم البعيدة بعقد الاتفاقيات ومن أهم هذه الأقاليم كانت الهند حيث كان الإمبراطور أغسطس على علم بوجود ممالك قوية في بلاد الهند، ولما كان حريصًا على أن يوفر طاقاته الحربية مع هذه الممالك، فقد رحب بإقامة علاقات دبلوماسية معهم، وفي هذا الإطار نجده قد استقبل عدداً لا بأس به من السفارات الدبلوماسية ،م، وكانت هذه السفارات محملة بهدايا متنوعة من الخدم، ومجموعات متنوعة من الحيوانات، وأيضاً بعض الأحجار والمعادن الكريمة وغيرها من الهدايا التي كانت تعبر عن البيئة الهندية الخالصة..للمزيد يمكن الرجوع إلى:

R. McLaughlin, Rome and the Distant East Trade Routes to the Ancient Lands of : Arabia, India and Chin*a*, London, 2010.

٩م[١]، وفي هذا الإطار تعد دراسة المؤرخ بيتر ويلز Peter S. Wells التي نُشرت عام ٢٠٠٣م، تحت عنوان "**The Battle that stopped Rome**" من أكثر الدراسات الحديثة عمقًا وفهمًا لأحداث ونتائج هذه المعركة، ولقد اعتمدت هذه الدراسة في معرض حديثها عن معركة تيوتوبيرج على الاكتشافات الأثرية بالدرجة الأولى التي تمكنت آنذاك من الكشف عن الموقع الفعلي للمعركة؛ حيث كانت في إحدى الغابات الموجودة بالمانيا، ولم يبخل هذا الموقع بما يحويه على الأثريين؛ حيث تم العثور فيه على العديد من الأدوات والأسلحة المختلفة التي كان تستخدمها القبائل الجرمانية ضد القوات الرومانية.

ولقد ساعدت هذه الاكتشافات الأثرية وبالتحديد الأسلحة في رسم صورة تخيلية لمعركة تيوتوبيرج ، ومعرفة حجم الجروح والاصابات التي أحدثتها هذه المعركة في الجنود الرومان، كما أوضح بيتر ويلز أنه بفضل هذه الاكتشافات الأثرية أصبح لدينا فهم عميق عن هذه المعركة، ثم تناول في دراسته بعد ذلك طبيعة الشعوب الجرمانية موضحًا دور هذه المعركة في الحد من التوسع الروماني باتجاه الحدود الشمالية لنهر البيElbe [٢]، ليجعل من هذه المعركة في النهاية رمزًا للشعوب التي تكافح من أجل البقاء ضد أي قوى توسعية بشكل عام[٣].

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات بذلت جهدًا كبيرًا في محاولة رسم صورة إما عن حياة الامبراطور أغسطس أو توسعاته وذكر معظم الحروب التي خاضها سواء تلك التي انتصر فيها أو تعثر في إحدى جولاتها، وعلى الرغم أن هذه الدراسات رسمت صورة تخيلية لمعركة تيوتوبيرج اعتمادًا على الجانب الأثري، في المقام الأول ، إلا أن هذه الدراسات لم تقدم معالجة للحالة النفسية التي أصابت الامبراطور أغسطس عقب الهزيمة في هذه المعركة، وما

---

(١) نظرًا لخطورة النتائج السياسية التي ترتبت على هذه المعركة فهناك العديد من المراجع التي اهتمت برصد الجانب السياسي لها، دون الاهتمام برصد الحالة النفسية للإمبراطور أغسطس بشكل منفرد؛ ولعل من أهم هذه الدراسات ما يلي:

I. Syvanne, The Disaster at Teutoburg Forest in September 9 AD, Saga Newsletter 119 on June 2009, 9-23;J. Seidman, Rememberring the Teutoburg forest Monvmenta in Annals 1.61; journals.cambridge.org/rmu,2014;R. Wolters, Die Schlacht im Teutoburger Wald, Arminius, Varus und das römische Germanien (2017).

(٢) انظر الشكل رقم (١) في البحث ص ٣٠.

(٣) للإطلاع على هذه الدراسة يمكن الرجوع إلى:

P. S. Wells, The Battle that stopped Rome, London, 2003.

ذكرته هنا لا يخرج عن كونه معلومات متناثرة تفتقد إلى وحدة الموضوع وصياغته بشكل متكامل ومترابط؛ ونتيجة لهذا كله لم تخرج لنا دراسة مترابطة السياق تختص بهذا الموضوع بشكل منفرد.

ولعل ما سبق، كان خير دافع للباحثة كي تتناول الأثر النفسي أو الحالة النفسية التي ألمت بالإمبراطور أغسطس نتيجة الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج بشيء من الاهتمام والتخصيص بهدف إخراج صورة متكاملة إلى حد ما عن هذا الموضوع، وفي محاولة للإجابة بشكل أساسي عن سؤال جوهري بل يعد هذا السؤال هو صلب هذه الدراسة **وهو: لماذا أصاب الإمبراطور أغسطس حالة نفسية عقب الهزيمة في هذه الموقعة بالذات؟**

في واقع الأمر على الرغم من كتابة بعض المؤخين القدامي عن أحداث معركة تيوتوبيرج[١] إلا أن المؤرخ سويتونيوس Suetonius (٦٩م-١٢٢م) قد انفرد عن غيره بأنه أشار بشيئ من التفصيل للحالة النفسية التي انتابت الإمبراطور أغسطس عقب سماعه نبأ الهزيمة في هذه المعركة، حيث أشار لها في كتابة سير الأباطرة في الجزء الخاص بحياة الإمبراطور أغسطس وبالتحديد في الفصل الثالث والعشرين الفقرة الثانية.[٢]

ونظرًا لاعتماد الدراسة بشكل أساسي على مجموعة الأسطر التي ذكرها سيتونيوس عن حالة أغسطس عقب سماعه نبأ الهزيمة الأمر الذي قد يضفي على تناول هذه الدراسة ويضع أمامها الكثير من الصعوبات والعراقيل، نظرا لقلة المادة العلمية؛ لذا سوف تعتمد الباحثة في هذه الدراسة على المنهج التحليلي لبعض الأحداث وثيقة الصلة بأسباب وقوع الإمبراطور أغسطس في هذه الحالة إما قبيل عام ٩م أو بعد المعركة بفترة قليلة، هذا بخلاف المنهج التاريخي طبعًا ، وكل هذا في محاولة لسد النقص الذي قد يعتري هذه الدراسة إن لم تعتمد عليهما.

على أية حال، وبعد قراءة متأنية للفقرة الواردة عند سويتونيوس عن الحالة النفسية للإمبراطور أغسطس عقب سماعه نبأ الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج نسطتيع طرح ثلاثة أسئلة ومحاولة الإجابة عنها في ضوء ما جاء في ثنايا هذه الفقرة؛ ولعل هذه الأسئلة هي:

---

(1) Velleii. Paterculi. 2.117.1-2.120.6;Tac. Ann. 1.56-161; Flor. Epit. 2.30-38; Dio Cassius. 56.18.1- 56.24.5.

(2) Suet. Aug. 23.2

ما هي طبيعة الحالة النفسية التي أصابت الإمبراطور عقب الهزيمة؟ لماذا أصاب الإمبراطور أغسطس حالة نفسية عقب الهزيمة في هذه الموقعة بالذات؟ والسؤال الأخير هل تجاوز الإمبراطور هذه الأزمة النفسية؟.

وحتى يتسنى لنا الإجابة عن هذه الأسئلة التي سبق وطرحتها بشكل محدد يجب في البداية معرفة طبيعة هذه المعركة ، وفي هذا الصدد يمكن القول: إن جذور هذه المعركة ترجع لعام ١٢ق.م؛ حيث كان غزو المانيا واخماد الثورات التي كانت تندلع فيها من الحين إلى الأخر هدف كبير لدى الامبراطور أغسطس، وبالفعل أسند هذا الأمر إلى القائد كلاوديوس دروسوس Claudius Drusus (٣٨ق.م-٩ق.م) شقيق تبريوس (الإمبراطور التالي)الذي كان هدفه الأساسي هو الأخر توجيه ضربة قوية للقبائل هناك، وتعميق السيطرة على منطقة نهر الدانوب ونهر البي، وجعلها حدودًا طبيعية للامبراطورية الرومانية، وبالفعل نجح دروسوس في تحقيق بعض الانتصارات ما بين أعوام ١٢ق.م و٩ق.م، وتمكن من إقامة بعض القلاع الحصينة في المنطقة، وكاد أن يسيطر عليها بشكل كبير، ولكن القدر لم يمهلة إذ سقط من فوق جواده عام ٩ق.م، وتوفي على إثر هذا السقوط.[١]

ظلت الحملات العسكرية ضد القبائل الجرمانية في المانيا متوقفة بعد وفاة دروسوس ويمكن القول: إن القبائل الجرمانية لم تقم بثورات ضد الوجود الروماني إلى أن اندلعت ثورة في منطقة الليريا عام ٦م وتمكن الثوار من إهانة الوجود الروماني في المنطقة وقاموا بذبح العديد من الرومان الأمر الذي أزعج أغسطس بشكل كبير وأعطى تبريوس إشارة البدء للقضاء على هذه الثورة التي تهدد الوجود الروماني في المنطقة، وتمكن بالفعل بعد ثلاث سنوات من العمل الشاق أي في عام ٩م من السيطرة على المنطقة. ومن ناحية أخرى ظلت القبائل الجرمانية مسالمة للحكم الروماني إلى أن تم تعيين قائد في المنطقة يسمى **كوينكتليوس فاروس Quinctilius Varus(٤٦ق.م-٩م).**[٢]

---

(١) سيد أحمد الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٩١، ٩٠.

(٢) للمزيد عن الفترة من ٩ق.م حتي ٩م في القبائل الجرمانية ودور الرومان في التعامل معهم يمكن الرجوع إلى:
D. Shotter,Tiberius Caesar, New York,,1912,14;B. Levick , Tiberius The Politican, London and New York,1999,17;J.Edmondson,Augustus, Edinburgh University Press,2009,4.

لم يكن تعيين فاروس في منصب حاكم المانيا نتيجة لكفائته بقدر ما كان نوعًا من المحسوبية لذوي القربى والأصدقاء المقربين، فلم يكن بالقائد العسكري المحنك حيث كان محبًا لحياة الترفية كارهًا للحياة العسكرية؛ ولعل هذه الأمور جعلته لا يلتزم بالسياسة التي وضعها أغسطس له في التعامل مع القبائل الالمانية؛ واتخذ من تلقاء نفسه مجموعة من الإجراءات تهدف إلى التحكم في حرية القبائل الجرمانية، وإذلالها، والتعامل معهم كما لو كانوا عبيدا للرومان، كما تشدد في فرض الضرائب عليهم بغرض جمع أكبر قدر من الأموال، حتى يتسنى له الحصول على الجزء الأكبر منها لصالحه، الأمر الذي أغضب القبائل الجرمانية فتناسوا ما بينهم من خلافات وقرروا القيام بثورة والتمرد ضد الوجود الروماني.(١)

وبالفعل بدأت القبائل الجرمانية في البحث عن زعيم يقودهم خلال هذه الثورة، ولم يكن أمامهم أفضل من شخص يدعي أرمينيوس Arminius ، وكان قد التحق بالعمل في الجيش الروماني قبل ذلك ونظرًا لتميزه فقد كُتبَ اسمه في قائمة الفرسان. على أية حال، فإن عمل أرمينيوس بالجيش الروماني كان قد أكسبه خبرة كبيرة مكنته من معرفة نقاط القوة والضعف لدى الجيش الروماني.(٢)

وعندما علم فاروس بأمر هذا التمرد قرر الخروج على رأس ثلاثة فيالق (وكانت تأخذ أرقام ١٧و ١٨و ١٩)، وكل فيلق يتكون من ٦٠٠٠ جندي، ليقترب عدد الجنود الإجمالي من عشرين ألف جندي، وكان هدفه الأساسي هو إخماد هذا التمرد، إلا أن أرمينيوس زعيم التمرد كان أسبق بخطوة حيث تمكن من نصب كمين للقوات الرومانية في إحدى الغابات الموجودة في المنطقة وهي غابة تيوتوبيرج، وتمكن هو ومن معه من الحاق هزيمة قاسية بهم أبادوا خلالها الفيالق الرومانية الثلاثة بالاضافة إلى قائدهم فاروس.(٣)

وبالعودة هنا للإجابة عن السؤال الأول الذي كنت قد طرحته وهو: ما هي طبيعة الحالة النفسية التي أصابت الإمبراطور أغسطس عقب سماعه نبأ الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج ؟ في واقع الأمر أشار سويتونيوس أنه بمجرد أن سمع أغسطس نبأ الهزيمة

(1) Velleii. Paterculi, 2.117.2. Suet. Aug. 23; Dio Cassius .56.18.3.

(2)Velleius Paterculus .2.118.2; CF.also,P. S. Wells, The Battle that stopped Rome,13.

(3) L. Keppie, The Making of the Roman army From Republic to Empire, London,1984,13,156.

انتابته حالة من القلق والذعر الشديدين ، كما أنه أطلق شعر رأسه ولحيته ينمو لعدة أشهر، ووصل به الأمر أنه كان يضرب رأسه من حين إلى أخر في الحائط عدة مرات قائلاً كوينكتليوس فاروس !أعيدوا لي جحافلي! ('Quintili Vare, legiones redde!').[١]

وبالنظر لهذه الحالة وأعراضها نجد أن الامبراطور أغسطس شعر بالفزع الشديد فور تلقيه النبأ، ولقد استخدم سويتونيوس لفظة "consternatum كي يعبر عن هذا الشعور " وفي واقع الأمر فإن هذه اللفظة لها أكثر من معني، فهي تعنى ارتباك، حيرة، فزع ، قلق وحزن . ويبدو أن سيتونيوس قد وُفِق في اختيار هذه اللفظة بشكل كبير؛ لأنها أعطت وترجمت أكتر من شعور يُحتمل إنه انتاب الإمبراطور فور سماعه نبأ الهزيمة القاسية .

وترى الباحثة أن كل المعاني التي تحملها لفظة consternatum تعكس في النهاية بعض المشاعر السلبية لمن يدخلون في بعض حالات الاكتئاب، وإذا ما نظرنا هنا إلى تعريف الإكتئاب نجد أنه: اضطراب المزاج الذي يسبب شعورًا متواصلًا بالحزن، وفقدان المتعة، والاهتمام بالأمور المعتادة، ونقص التركيز. وقد يكون مصحوبًا بالشعور بالذنب، وعدم الأهمية، ونقص تقدير الذات. وينقسم في حد ذاته إلى ثلاثة أنواع: اكتئاب جزئي وقد يستمر عدة أشهر أو لمدة سنتين، والاكتئاب الموسمي، والإكتئاب الشديد وأخيرًا الإكتئاب الذهاني الذي يُصاب فيه الشخص بنوع من الاضطرابات العقلية، مثل: الهلاوس، والأوهام، وغيرهما. [٢]

وإذا ما عقدنا مقارنة بين مفردات هذا التعريف وماجاء على لسان سويتونيوس معبرًا عن حالة الإمبراطور أغسطس عقب سماعه نبأ الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج نجد عدة تشابهات منها:

- **أن لفظة consternatum والتي تعني فزع شديد أو ارتباك، حيرة، ، قلق وحزن، ما هي الإ حالة من اضطراب المزاج الذي قد يسببه الشعور المتواصل بالحزن.**

---

(1) Suet. Aug. 23.2.

adeo denique consternatum ferunt, ut per continuos menses barba capilloque summisso caput interdum foribus illideret uociferans: 'Quintili Vare, legiones redde!'.

([2])www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Diseases.

- **كما أن إشارة سويتونيوس أن أغسطس قد ترك شعر رأسه ولحيته لمدة شهور ,ferunt ut per continuos menses" barba capilloque summisso caput".**
يتفق هذا مع عرض من أعراض الاكتئاب وهو عدم الاهتمام بالمظهر الخارجي ، وعدم تقدير الذات نتيجة الغرق في الحزن الشديد الذي يشعر به من يمر بهذه الحالة النفسية، كما يوحي أيضًا بفقدان المتعة، وفقدان الاهتمام بالأمور المعتادة.

- **إشارة سويتونيوس أن الامبراطور أغسطس كان يضرب رأسه من حين لأخر في الحائط" قائلاً كوينكتليوس فاروس !أعيدوا لي جحافلي Quintili Vare, legiones' : redde!" فبخلاف أن هذه العبارة تعكس عمق الحزن والجرح الذي كان يعاني منه أغسطس، إلا أنها تعكس أيضًا حالة الهلاوس والهزيان (إن جاز لنا التعبير) التي عاني منها عندما كان يضرب برأسه في الحائط ويتخيل فاروس وينادي عليه ويأمره بضرورة إرجاع جنوده الموتى (وكأنه يتمني المستحيل، أو كأنه يُمني نفسه برجوع جنوده حتى يثأر لكرامة الامبراطورية الرومانية التي أهانها الالمان) .**

- **وقد يكون هناك شعور أخر قد انتاب أغسطس، ولم يركز عليه سويتونيوس وهو الشعور بالذنب، وكان منبع هذا الشعور هو تعيينه لفاروس الذي كان يفتقد الكفاءة، والحنكة العسكرية بشكل كبير.**

وبناء على المقارنة بين تعريف الإكتئاب وما ذكره المؤرخ سويتونيوس من مفردات لوصف الحالة النفسية للإمبراطور أغسطس يتضح أنه أصابه درجة من درجات الحزن الشديد التي قد تصل للإكتئاب دون مبالغة، والذي استمر بدوره معه لمدة عدة أشهر، ولذا يمكن اعتباره من النوع الجزئي المصحوب ببعض الهلاوس.[١]

في واقع الأمر وبخلاف هذه الواقعة لم يصل إلينا حتى الآن ما يشير إلى أن الإمبراطور أغسطس سبق وأن وقع أسيرًا لحالة نفسية أقل ما توصف به أنها درجة من درجات الحزن الشديد (وإن كانت هذه الدرجة قد تطورت للهلاوس)، واستمرت معه لعدة أشهر عقب أي حدث سياسي أو حربي مر عليه، ولعل هذا يجعلنا نتساءل وبقوة **لماذا أصاب الإمبراطور أغسطس هذه الحالة النفسية عقب الهزيمة في هذه الموقعة بالذات؟**

([1]) www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Diseases.

إن الإجابة عن هذا السؤال والذي يعد بدوره صلب هذه الدراسة سوف يعتمد على المنهج التحليلي بشكل كبير ، كما أنه سوف يعتمد على قراءة لبعض الأحداث وثيقة الصلة بالموضوع وقعت قبيل عام ٩م. على أية حال، يمكن القول: أنه كانت هناك مجموعة من الأسباب التي تكاتفت مع بعضها البعض حتي أدخلت الإمبراطور أغسطس في هذه الحالة النفسية السيئة ويمكن حصر هذه الأسباب فيما يلي:

اولاً: شراسة القبائل الجرمانية:

كان الامبراطور أغسطس يعي بشكل كبير مدى شراسة القبائل الجرمانية ومدى حبها، وتعطشها للقتال لدرجة أن شعوب هذه القبائل كان يتم وصفها بأنها شعوب محبة للقتال Bellicosissimae gentes ، فضلاً أن هذه القبائل لم تكن تملك جيشا منظمًا الأمر الذي كان يضع العديد من الصعوبات والعراقيل أمام أي جيش منظم أثناء محاربتهم.[١]

كما أدرك الإمبراطور أغسطس أن بقاء هذه الشعوب الشرسة على الحدود الشمالية للإمبراطورية الرومانية دون السيطرة عليها أو حتى الوصول معهم لاتفاق سوف يشكل خطرًا كبيرًا على الامبراطورية، ويجعل من هذه الحدود مصدر قلق دائم له، كما أن ما فعلته هذه القبائل وإحرازها لهذا النصر الساحق سوف يعطي ثقة ودفعة قوية لها ولأي قبائل أخري تريد أن تقوم بتمرد على الوجود الروماني أو ترغب في محاربتهم مرة أخرى؛ ولذا فإن هذه الهزيمة هزت كيان الامبراطور أغسطس ليس فقط لأنه كان يدرك صعوبة الضربة أو لأنه يدرك شراسة وقوة من قاموا بها ومدى خطورتهم على الحدود الشمالية، بل لأنه كان يدرك طموحهم ورغبتهم في عدم التوقف عند هذا الحد.

---

(١) ورد مصطلح القبائل أو الشعوب المحبة للقتال Bellicosissimae gentes على اثنتين من القبائل التي حاربت الرومان وهما :القبائل الغالية والقبائل الجرمانية، ولقد تم اطلاق هذا المصطلح عليهم نتيجة حروب يوليوس قيصر معهم فيبدو أن الرومان قد أدركوا مدي الشراسة التي تتصف بها هذه القبائل أثناء الحرب، ومدي حبها للقتال ولعل هذه الشراسة والخشونة في القتال دفعت يوليوس قيصر أثناء حروبه على الجبهة الشمالية ضد الغال والجرمان بتسجيل تفاصيل معاركه معها وأخرج لنا كتابه الذي عُرف بعنوان: الحروب الغالية (De Bello Gallico) وجاءت الإشارة إلى الشعوب المحبة في القتال مرتين، الإشارة الأولي: عندما تحدث عن حروبه مع قبائل الهيلفيتي الغالية والمرة الثانية : عندما تحدث عن حروبه مع قبائل السويبي الجرمانية. للمزيد يمكن الرجوع إلى: رجب سلامة عمران:مصطلح الشعوب المحبة للقتال**Bellicosissimae gentes** في المصادر اللاتنية، مجلة المؤرخ المصري، عدد يوليو ٢٠١٨م، ٣٧٥.

ثانيًا التنكيل بالجنود الرومان :

من أهم الأسباب التي أوقعت الإمبراطور أغسطس أسيرًا للحزن والإكتئاب لمدة شهور عقب الهزيمة في معركة تيوتوبيرج هى معرفته بمدى حجم التنكيل الذي تعرض له جنوده فيها على يد القبائل الجرمانية.

وفي الواقع لم نعرف حجم التنكيل الذي تعرض له الجنود الرومان في معركة تيوتوبيرج إلا على لسان المؤرخ تاكيتوس (٥٦م-١٢٠م) حيث روي لنا ذلك عندما تحدث عن بعض الحملات العسكرية على هذه المنطقة ما بين عامي ١٥م و١٦م في عهد الامبراطور تبريوس وكانت هذه الحملات بقيادة جرمانيكوسGermanicus بن دروسوس (أي ابن شقيق تبريوس) (١٥ق.م-١٩م)، وكان الهدف الرئيس منها هو قمع بعض حركات التمرد التي اندلعت في المانيا وقتها.(١)

ولقد أشار تاكيتوس إلى دخول جرمانيكوس وجنوده في عدة حروب مع القبائل الجرمانية وبخاصة قبيلة بروكتيري Bructeri وأوضح أنه عثر أثناء هذه الحرب على رمز الفيلق التاسع عشر (الذي سبق وأن تم إبادته مع فاروس وكان عبارة عن نسر)، كما أشار تاكيتوس أن قوات جرمانيكوس تقدمت أبعد من بروكتيري واستطاعت تدمير بعض المدن الواقعة بين نهري أميسيا Amisia ولوبّيا Luppia، بالقرب من غابة تيوتوبيرج، حيث قيل إن بقايا فاروس وجحافله لم تُدفن هناك.(٢)

على أية حال نتيجة تفوق جرمانيكوس ومن معه وتدميرهم لبعض القبائل، فعندما اقتربوا من غابة تيوتوبيرج قرروا اختراقها فيما يشبه القيام بجولة تفقدية، وهنا شاهد جنود جرمانيكوس: بقايا الجثث وكومة من العظام البيضاء المنتشرة داخل الغابة وكأن الأرض قد كُسيت باللون الأبيض ، كما شاهدوا شظايا أسلحة وأطراف خيول، فضلاً عن ذلك شاهدوا بقايا

(1) B. Levick , Tiberius The Politican,104.

(2) Tac. Ann. 1.60.

interque caedem et praedam repperit undevicesimae legionis aquilam cum Varo amissam. ductum inde agmen ad ultimos Bructerorum, quantumque Amisiam et Lupiam amnis inter vastatum, haud procul Teutoburgiensi saltu in quo reliquiae Vari legionumque insepultae dicebantur.

جثث معلقة على جذوع الأشجار في البساتين المجاورة؛ حيث كانت توجد المذابح الهمجية ، (إشارة لعمليات التنكيل التي تعرض لها الجنود الأسري)، كما استطرد تاكيتوس موضحا أن هذه المناظر المختلفة قد أكدها وقتها بعض الناجين من المعركة والأسرى (ويبدو أن هؤلاء الناجين هم من أخبرو أغسطس بما حدث آنذاك) ، كما أكدوا إصابة فاروس بجروح داميه ثم قيامه بقتل نفسه حتى لا يقع في الأسر.[١]

وبناءً عليه، وطبقًا لتاكيتوس يتضح أنه تم قتل العدد الأكبر من الجنود،(كل الفيالق الثلاثة تقريبًا) ولم يتم دفنهم، فقد تُركت أكوام الجثث في وسط الغابة، وهذا في حد ذاته فيه مهانة وإذلال لهؤلاء الجنود الذين حُرِموا حتي من تكريم دفن جثثهم وتلاوة الصلوات اللازمة عليهم، وتُركت هذه الجثث في العراء إما للتحلل من تلقاء نفسها أو لنهشها وأكلها من بعض طيور وحيوانات الغابة ، وبمرور الوقت لم يتبق منهم سوى أكوام من العظام البيضاء التي ظهرت وكأنها كست أرض الغابة باللون الأبيض.

وفي هذا الإطار لم تكن الأرض هي المكان الوحيد الذي حوت جثث هؤلاء الجنود، فقد كان لجذوع الأشجار هي الأخري دور في احتواء الكثير من الجثث، والتي يبدو أن أصحابها قد تعرضوا لنوع من التعذيب والتنكيل عن طريق تعليقهم على هذه الجزوع رغبة في تعذيبهم وإمعانا في ذلهم، حتى فارقوا الحياة وتم ترك جثثهم معلقة على الأشجار كي تخبرنا عن جزء بسيط عما حدث لهؤلاء الجنود داخل هذه المعركة القاسية بل والضربة القاسمة للجيش الروماني.

([1]) Tac. Ann., I.61.

incedunt maestos locos visuque ac memoria deformis. prima Vari castra lato ambitu et dimensis principiis trium legionum manus ostentabant; dein semiruto vallo, humili fossa accisae iam reliquiae consedisse intellegebantur: medio campi albentia ossa, ut fugerant, ut restiterant, disiecta vel aggerata. adiacebant fragmina telorum equorumque artus, simul truncis arborum antefixa ora. lucis propinquis barbarae arae, apud quas tribunos ac primorum ordinum centuriones mactaverant. et cladis eius superstites, pugnam aut vincula elapsi, referebant hic cecidisse legatos, illic raptas aquilas; primum ubi vulnus Varo adactum, ubi infelici dextera et suo ictu mortem invenerit; quo tribunali contionatus Arminius, quot patibula captivis, quae scrobes, utque signis et aquilis per superbiam inluserit.

وفي هذا الإطار قد ذكر لنا المؤرخ فلوروس Florus (٧٤م-١٣٠م) في معرض حديثه عن هذه المعركة مظهرًا أخر من مظاهر التنكيل والتعذيب لبعض الجنود داخل الغابة؛ حيث أشار إلى أن الجرمان قاموا بفقع عيون بعض الجنود، وقطع أيديهم كما قاموا بتخييط فم أحد الجنود وقطع لسان أخر.(١)

ولعل ما ذكره لنا تاكيتوس و فلوروس عن طرق التنكيل بالجنود الرومان تعكس وتؤكد أمرين:

- الأمر الأول: تعكس الطريقة التي تم تعذيب وتنكيل بعض الجنود الرومان بها مدى الكراهية ومدى الغل الذي يضمره الجرمان بداخلهم ضد الرومان، كما أنها تعكس حجم الذل والمهانة بل والعار الذي لحق بالجنود الرومان.

- الأمر الثاني: لم يكن الهدف من القسوة التي تعامل بها الجرمان ضد الرومان في هذه المعركة هو بث الخوف والفزع في قلوبهم وقت المعركة فقط، بل توجيه انذار و درس قاسي لمن يفكر من الرومان في محاربتهم مرة أخرى.

ويبدو أن الإمبراطور أغسطس قد أدرك هذين الأمرين بشكل كبير فمن ناحية كان يدرك مدى الغل الذي تكنه القبائل الجرمانية ضد الوجود الروماني، ومن ناحية أخرى كان يدرك التأثير السلبي لهذه المعركة على جنوده إذا ما أرادوا محاربه هذه القبائل مرة أخري.

وبالعودة مرة أخرى لبقية مظاهر التعذيب في هذه المعركة فيمكن القول: أن قائد جنود الفيالق الثلاثة (فاروس) لم يكن بعيدًا هو الأخر عن التعذيب فيبدو أنه عندما رأى مشاهد الموت تحيط به وبجنوده من كل جانب، أدرك أنه لن يستطع الفرار فقرر أن يُنهي حياته بنفسه حتى لا يقع في ذل ومهانة الأسر، وبخاصة بعد أن فقد كل جنوده تقريبًا، وفي واقع الأمر لم

(1) Flor. Epit. 2. 38.

Aliis oculos, aliis manus amputabant, uni os obsutum, recisa prius lingua, quam in manu tenens.

يكن فاروس وحده من أقدم على خطوة الانتحار، بل شاركه في ذلك جميع الضباط البارزين خوفًا من أن يتم إلقاء القبض عليهم أو يقتلون على أيدي أعدائهم وبخاصة أنهم كانوا مصابين.(١)

ولعل ما أقدم عليه فاروس من قتله لنفسه أثناء المعركة لهو من أسوأ الاختيارات التي يمكن أن يقع فيها قائد لمعركة، حيث لم يكن أمامه سوى خيارين: إما الموت على يد العدو، أو الوقوع في الأسر، ففضل أن يسلب مُهجته بيده حتى لا يعطي خصمه شرف إذلاله.(٢) إلا أن الجرمان لم يتركوه حتى بعد ما فارق الحياة حيث قاموا بقطع رأسه، وتم إرسالها لأغسطس، وعندما وصلت لروما تم دفنها في المقابر الخاصة بعائلة فاروس.(٣)

وترى الباحثة أن من أهم العوامل التي ساعدت القوات الجرمانية على القتل ثم التنكيل بهذا العدد الكبير من الجنود الرومان هو طول مدة المعركة أو بالأحرى طول المدة الزمنية للكمين الذي نجح الجرمان في نصبه للفيالق الثلاثة، حيث استمر هذا الكمين لمدة ثلاثة أيام متواصلة، وكأن القضاء على الفيلق الواحد استغرق يومًا كاملاً (إن جاز لنا هذا التعبير)، كي

---

(1) Dio Cass.56.21.5

(٢) في واقع الأمر أوردت لنا المصادر بعض الإشارات عن قيام بعض الجنود بقتل أنفسهم في ساحات بعض المعارك خشية الوقوع في الأسر، حيث سجلت لنا المصادر سبع حالات لقيام مجموعة أو بعض أو حفنة من الجنود بقتل أنفسهم أثناء اشتعال بعض المعارك، وفي واقع الأمر فإن هذه الحالات السبع التي أوردتها المصادر القديمة تنقسم في حد ذاتها إلى أربع حالات في حروب خارجية، وثلاث في حروب أهلية، وهذه الحالات السبع كانت في معارك: في معركة ترازمين عام ٢١٧ق.م وقد شهدت هذه المعركة حالتين من القتل الجماعي للجنود حيث كانوا يقتلون أنفسهم بأيديهم، كما شهدت إحدى حروب "يوليوس قيصر" في بلاد الغال حالة من القتل الجماعى للجنود الرومان، وتحديدًا في عام ٥٤ق.م، كما شاهدت معركة كارهاى عام ٥٣ق.م قتل الجنود لأنفسهم ،كما تكرر الأمر عام ٤٩ ق.م. ، وأيضًا في أحد جولات معركة فليبي عام ٤٢ق.م، كذلك في موقعة أكتيوم عام ٣١ق.م:كان قتل الجنود الرومان لأنفسهم في بعض المعارك خشية الوقوع في الأسر، سلوك بشري يتماشي بشكل كبير مع الروح العسكرية التى اعتادوا عليها، والتي ترفض في المقام الأول ذل المهانة أو القتل على يد الخصم، وحتي لا يعطون العدو أو الخصم شرف ولذة قتلهم كانوا يقومون بقتل أنفسهم.. للمزيد يمكن الرجوع إلى:
Polyb, , 3.84.9; Polyb, ,3.84.10; Caes. Gal. 5.35-36; Dio Cassius, 40.25.2; livy, Per. 110; App. 4.15.115; Dio Cassius ,50.35.4.

(3) Velleii. Paterculi.2.119.5.

تصبح هذه المعركة في النهاية من أطول الكمائن التي نُصبت للقوات الرومانية على مدار تاريخها من حيث المدة الزمنية.[١]

ثالثًا عزوف الشباب عن التجنيد:

كان من ضمن الأسباب التي ساهمت في دخول أغسطس في حالة إكتئاب عقب الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج هي عزوف الشباب عن التجنيد، وهذا ما أكده لنا ديوكاسيوس عندما أشار أنه لم يكن حزن أغسطس بعد الهزيمة بسبب فقدانه للجنود فقط، ولكن خوفه من هجوم الألمان على روما نفسها في ظل عدم وجود مواطنون في سن الخدمة العسكرية[٢] على أية حال، كان هذا العزوف مرجعه من وجهه نظر الباحثة إلى ثلاثة أسباب وهى:

---

(١) يعد نصب الكمائن من أهم الأساليب التي تُستخدم في بعض الحروب لتحقيق ضربةٍ قويةٍ للعدو أما في اللغة اليونانية فإن نصب الكمين مشتق من الفعل "ἐνεδρεύω"، أو الفعل "λοχάω" أما الكمين كأسم فهناك أكثر من لفظ يعبر عنه مثل: "ἡ παγις " أو "ἡ ἐνέδρα" أو "ὁ λόχος" أما في اللغة اللاتنية فنصب الكمين مشتق من الفعل"insidior". أما الكمين نفسه فهو يعني:"Laqueus" أو"insidiae كانت أولى خطوات الإعداد للكمين هو اختيار مكان يتم التمركز والإختباء به لتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على الخصم؛ لذا يعد اختيار المكان المناسب لنصب الكمين أهم وأخطر مراحل الإعداد له، وكان مكان الكمين جزءًا من أرض المعركة يتم اختياره دون غيره؛ لأنه يضمن عنصر الاختفاء للجنود، كما أن حجمه لابد وأن يتناسب مع عدد الجنود المختبئين، ولقد تنوعت أماكن الكمائن ما بين الغابات أو فوق التلال أو عند الجسور ، وكان كل كمين يتم تزويده بجنود مهرة ، وغالبا ما يكون قائد الكمين هو قائد المعركة بصفة عامة، وكان يصاحب أفراد الكمين أحيانًا أدلاء ὁ δηγοὶ ، كما كان يتم إعداد الكمين ليلا، ولابد أن يلتزم الجميع الهدوء والالتزام بموعد الصفر، وكان يتم غالبًا الاتفاق على إشارة σύνθημα يلتزم بها الجميع لبدء الكمين والانقضاض على الخصم ، وكانت مدة اي كمين لا يتجاوز عدة ساعات، وكانت هناك العديد من الأهداف من نصب الكمائن بصفة عامة منها إثارة الذعر وقتل أكبر عدد من الجنود، أو الحصول على الغنائم ، وقطع المؤن وغيرها من الأهداف. وفي الواقع لقد استفاد الرومان من نصب الكمائن لهم وتعلموا العديد من الأمور التي تمكنهم من تفاديها منها: الحذر والشك وبخاصة قبل المرور على الغابات واتخاذ خطوات احترازية مسبقة، واليقظة، وفحص المكان، وتفضيل الحروب في الأماكن المكشوفة، لأنها تمكنهم من إظهار مهارتهم القتالية، وكل هذه الأمور التي اكتسبوها أصبحت من أهم ملامح فكرهم العسكري في كثير من جولاتهم الحربية، ورغم هذه الاستفادة الكبيرة التي اكتسبها الجيش الروماني لم تمنع من وقوعهم في كمائن أخري كما حدث في هذه الموقعة. للمزيد عن الكمائن يمكن الرجوع إلى:كريمة رمضان رفاعي:الكمائن في الحروب الرومانية خلال العصر الجمهوري(٢١٨ق.م-٢٩ق.م)،مجلة وقائع تاريخية، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات التاريخية، العدد الثاني والثلاثون- الجزء الأول، يناير ٢٠١٩م.

(2) Dio Cass. 56.23.1.

١- تســـريح الجنود:

عندما نجح الإمبراطور أغسطس في السيطرة على عدد كبير من الأقاليم المختلفة قام على الفور بعدها بخفض عدد الجنود في جيشه، حيث عمل على تسريح عدد كبير منهم، وقلل عدد الفرق العسكرية من ٦٠ فرقة إلى ٢٨ فرقة، كما أنشأ مستوطنات في إيطاليا يعيش فيها هؤلاء الجنود المسرحين، وكان هدفه من ذلك التخلص من الجيوش الكثيرة التي كانت موجودة بروما وقت اندلاع الحروب الأهلية قديمًا، والإبقاء على جيش نظامي واحد فقط تابعًا للإمبراطور.[١]

جعلت سياسية أغسطس الجنود الذين تم تسريحهم يعيشون حياة عادية بعيدة عن الجندية، والتزاماتها، وأصبح هناك بالتدريج شعور بالاسترخاء وعدم الرغبة في بذل جهد أصلا، وانتشر هذا الأمر بين فئات كثيرة من الشباب، وبمرور الوقت أصبح كل اهتمامهم الاستمتاع بحياتهم بعيدا عن الانخراط في حياة الجندية وقسوتها ، خاصة وأن أغسطس قد أبقي على نظام التجنيد تطوعًا لا إجباريًا في أغلب الأحيان، وبالتالي فضل عدد كبير من الشباب الاستمتاع بحياتهم بدلاً من التطوع في الجيش.[٢]

٢- الركون إلى الراحة والدعة:

كان من أهم النتائج التي ترتبت على حالة السلام التي نشرها أغسطس وعقده للعديد من الاتفاقيات واستقباله العديد من السفارات من البلدان المختلفة (وبخاصة التي لم تخضع للسيطرة الرومانية)، حدوث انفتاح للمجتمع الروماني على العديد من سلع وبضائع الأقاليم المجاورة ، ومن ثم بدأت تنتشر لدى المجتمع الروماني رغبة الاستمتاع بالسلع والكماليات مما أثر على طبيعة حياتهم وبدأت الرفاهية والحياة اللينة تعد ركنًا أساسيًا لا يمكن الاستغناء عنه، ولقد

([1])P.Erdkamp, Acompanion to The Roman Army, Oxford, 2007,189.

([٢]) للمزيد عن الجندية والجنود في هذه الفترة يمكن الرجوع إلى:

B. Campbell**,** war and socity in Imperial Rome,31 BC–AD 284,London,2002.

انعكس ذلك على كل شيئ وبخاصة على الملابس، حيث تم ارتداء الحرير المستورد من الهند وبخاصة الملون من قبل نساء الطبقة العليا.[١]

وفي واقع الأمر لم يكن نساء الطبقة العليا فقط ممن اهتم بارتداء الحرير الملون، ولكن بدأ نبلاء الطبقة العليا من الرجال في استخدامه في ملبسهم أيضًا، ويبدو أنه تم انتشار هذا النوع من القماش بين الطبقات العليا من الرجال بشكل كبير لدرجة أن هذا الأمر لم يعد يروق لمجلس السناتو آنذاك، لذا نجد أن هذا المجلس قد أصدر في عام ١٦م (أي بعد عامين فقط من موت الإمبراطور أغسطس) قانونًا يحد من البذخ والترف الذي أصاب المجتمع الروماني، ويحد من ارتداء النبلاء من أقمشة الحرير.[٢]

ولما كان الشباب جزءًا لا ينفصل عن المجتمع فقد تأثروا بشكل كبير بما حدث داخله، ولكي نعرف إلى أي مدى أثرت حياة الترف والبذخ عليهم وجب علينا أن نرجع لما كتبه " "**سينكا الأكبر"(٤٥ق.م-٣٩م)** عن حالة الشباب آنذاك حيث كتب لنا: "إن الشباب اليوم

---

(١) في هذه الفترة انتشرت السلع في المجتمع الروماني وبخاصة السلع الهندية، ولعل من أهم السلع الهندية التي انتشرت بشكل كبير داخل المجتمع الروماني في عهد الإمبراطور أغسطس، واستمرت من بعده، الأقمشة الهندية المصنوعة من الحرير. ومن المعروف أن الرومان بوجه عام لم يفضلوا ارتداء الملابس الحريرية؛ حيث كان ارتداؤها قاصرًا على بعض النساء العاهرات. ولكن مع زيادة الاتصال بالهند وزيادة الصفقات التجارية بين الطرفين نجد أن هذه السلعة قد أثرت على طبيعة المجتمع الروماني في عدة جوانب يمكن رصدها فيما يلي: أدى توافر هذه السلعة في المجتمع الروماني إلى تزايد عدد النساء المرتديات للحرير من العاهرات، كما بدأت النساء من الطبقات العليا في استخدام الحرير في ملبسهن، بعد أن كن يستخدمن الكتان فقط، ونظرًا لما يتسم به الحرير بأنه يشف ما تحته من ملابس حرصت نساء الطبقة العليا على دمج الحرير مع الكتان في آن واحد في تصنيع ملابسهن، الأمر الذي أدى بدوره إلى تغيير هيئة الملابس بشكل ملحوظ آنذاك، ومما زاد من إقبال نساء الطبقة العليا على هذه السلعة أنه تم تلوين الأقمشة المصنوعة من الحرير بأكثر من لون مما ترتب عليه تفضيل عدد كبير منهن لهذا النوع من القماش.

للمزيد انظر: Horace, Satires, 1.2.101–3

(2) Tac. Ann, 2.33.

كما تهافتت شريحة كبيرة من المجتمع الروماني على شراء السلع الترفيهية، وخاصة أدوات الزينة والحّلي المطعمة بالجواهر واللؤلؤ المستوردة، ولقد نال اللؤلؤ الهندي بالذات اهتمام الطبقات العليا في المجتمع الروماني بشكل كبير، وتصاعد الطلب على هذه السلعة الاستهلاكية مما أدي إلى انتشار روح البذخ والترف بين بعض طبقات المجتمع الروماني بشكل لم يعهده الرومان أنفسهم من قبل.

يميليون إلى التراخى، والنوم والكسل والسعي وراء الشرور. وينصبُّ جل اهتمامهم بمظهرهم كنوع الملبس وتصفيف الشعر، بل وتغيير أصواتهم ليكونوا أكثر نعومة ورقة من النساء، حتى نافسوهن في هذا الأمر. فالحياة اللينة المترفة التي يعيشونها كانت تفتقر لهدف جاد يعيشون من أجله، بل تفتقر للعفة والطهارة بشكل كبير".[١]

في واقع الأمر قد يكون ما كتبه سينكا الأكبر عن حالة الشباب جاء بعد وفاة أغسطس بفترة قليلة، لكن ما كتبه يعد مؤشرًا لا يمكن تجاهله عن أوضاع معظم الشباب الذين عاشوا فترات السلم في عهد أغسطس، وما ترتب عليها من انفتاح على سلع وبضائع المجتمعات الأخري، وانتشار رغبة شراء السلع الترفهية والكماليات، وقد ساهم كل ذلك في تحويل حياتهم إلى حياة أكثر ليونة ونعومة وبالتالي أصبحت لا تتماشي مع طبيعة أي مجتمع حربي.

٣- الخــوف من خوض غمار المعارك:

ولعل من أهم الأسباب التي زادت من رغبة الشباب في البعد عن التجنيد والإنخراط في الجيش ومسئولياته الشاقة ما حدث في موقعة تيوتوبيرج، فلا يمكن أن نتخيل بعد تردد الأنباء بفقدان ٢٠ ألف جندي دفعة واحدة وفي معركة واحدة على يد القبائل الجرمانية وسيكون لدى الشباب الذي اعتاد الليونة والنعومة رغبة في الانضمام للجيش، فمن المؤكد أن انتشار مثل هذا الخبر جعل كثيرًا من سكان روما يشعرون بالرعب والخوف مما حدث في هذه المعركة، فمابالك الشباب الذين هم في مقتبل العمر.

وفي واقع الأمر فإن عامل الخوف قد تسرب في نفوس بعض جنود الجيش الروماني وبعد مرور أكثر من ستة أعوام على المعركة وهذا ما أكده تاكيتوس عن الجنود في حملة جرمانيكوس عندما دخلوا الغابة وشاهدوا عظام الجنود ثم قرروا دفنها حيث قال: وهكذا بدأ الجنود بالجيش الروماني وبعد مرور ست سنوات من الكارثة ينتابهم حالة من الحزن الشديد

(1) Sen. Con. 1.pr.8-9.

كما كتب "**سينكا الأصغر**"**(٤ق.م-٦٥م)** بعد ذلك بفترة قليلة عن بعض مظاهر الانحلال الخلقي في بدايات العصر الإمبراطوري وتشبه النساء بالرجال ومنافستهم في شرب الخمر. وانتشار الزنا بينهم، الأمر الذى أثر على حالتهن الصحية، وبدأت بعض النساء تُصاب بأمراض كانت تخص الرجال المنغمسين في الرذيلة فقط مثل انتفاخ البطن، وآلام المعدة والتقيؤ، وسقوط الشعر(الصلع) .، للمزيد يمكن الرجوع إلى
Sen. Ep. 95.20-21.:

بتجميع عظام الجحافل الثلاثة، ودفنها، وكانوا يدفنون البقايا وهم لا يعرفون هل يدفنون أقارب لهم أم غرباء، وعندما علم تبريوس بهذا الأمر رفض ما قاموا به بشكل كبير؛ لأنه خشي على الجنود أن يؤثر عليهم مشهد القتلى غير المدفونين **ويجعلهم أكثر بطئًا وخوفًا من العدو.**[1]

وإذا كان تبيريوس خشي على الجنود الذين شاهدوا أثار المعركة بعد ست سنوات من انقضائها أن يُصِيبهم الخوف والذعر من قوة القبائل الجرمانية فمابالنا بالذين عاشوا هذه الفترة في روما وبخاصة الشباب عندما علموا بالهزيمة وموت أقاربهم من الجنود، وعرفوا ما حدث لهم من تعذيب وتنكيل من قِبل بعض الناجين.

إن عزوف الشباب عن الانخراط في حياة الجندية، وخوفهم مما حدث في المعركة جعل الإمبراطور أغسطس يدرك أنه لن يستطع تعويض الفيالق الثلاثة، بسهولة، ولعل إدراكه لهذا الأمر كان كفيلاً أن يدخله في حالة الحزن والإكتئاب الشديد التي تعرض لها، بل يمكن القول في هذا الصدد: إن ما أدركه أغسطس في هذا الشأن تحول لحقيقة؛ حيث استمر الجيش يحارب دون الفيالق الثلاثة (١٧ و١٨ و١٩) طوال السنوات المتبقية في حياته.

رابعًا تقدم العُمر بالإمبراطور:

كان لسن الإمبراطور أغسطس دورٌ في دخوله فى حالة الإكتئاب التي انتابته عقب سماعه نبأ الهزيمة في معركة تيوتوبيرج؛ حيث كان قد بلغ من العمر ٧٢ عامًا، وهي مرحلة عمرية متقدمة، ولا أقصد بالمتقدمة هنا أن يكون قد أصاب الإمبراطور نوع من الخرف، فقد كانت شخصيته القوية الصلبة أهم ما يتميز بها (سوف أتناولها لاحقا) ولكن أقصد هنا أن كونه يتلقى مثل هذه الضربة القاسية في هذا العمر، وبعد جلوسه لأكثر من ثلاثة عقود على عرش الإمبراطورية أمر ليس بالسهل، فهو لم يتلق مثل هذه الضربة في شبابه وهو قادر على أن يصول ويجول، فمابالنا وهو يتلقاها في هذه السن فلابد أن يصاب بالحزن الشديد، والخوف

([1]) Tacitus, Annals, I.62.

Igitur Romanus qui aderat exercitus sextum post cladis annum trium legionum ossa, nullo noscente alienas reliquias an suorum humo tegeret, omnis ut coniunctos, ut consanguineos, aucta in hostem ira, maesti simul et infensi condebant. primum extruendo tumulo caespitem Caesar posuit, gratissimo munere in defunctos et praesentibus doloris socius. quod Tiberio haud probatum, seu cuncta Germanici in deterius trahenti, sive exercitum imagine caesorum insepultorumque tardatum ad proelia et formidolosiorem hostium credebat.

والقلق على شأن إمبراطوريته. ومما زاد شعوره بالقلق والحزن أنه في هذا التوقيت لم يكن قد حسم بعض الأمور المتعلقة بشئون وراثة عرشه.(١)

في واقع الأمر يمكن القول: إن هذه الهزيمة أدت إلى تشويه صورة أغسطس الإمبراطور المهيب الذي قام نظام حكمه على آلة منظمة من الدعاية ربطت بين شخصيته، وتحقيق الامجاد والانتصارات العسكرية لروما ، ولذا كانت الهزيمة في تيوتوبيرج لها بالغ الأثر في معنويات اغسطس لأنها كانت بمثابة انهيار لتلك الشخصية المبجلة والتشكيك في أيديولوجية تحقيق الانتصارات المرتبطة بالإمبراطور، وبالتالي فقد أغسطس مصداقيته بوصفه القائد المنتصر الذي بشرته الآلهة بالنصر. ولعل هذا يتفق بشكل كبير مع وصف سويتونيوس لأثر تلك الهزيمة حيث وصفها بأنها كانت تحمل في طياتها عارًا أكثر منها هزيمة عسكرية "Maioris infamiae quam detrimenti" (٢)

ومماسبق يتضح أنه على الرغم أن هذه الكارثة والهزيمة القاسية في موقعة تيوتوبيرج كانت السبب الأقوي والمباشر في دخول الإمبراطور أغسطس في حالة الإكتئاب والحزن، إلا أنها لم تكن السبب الوحيد، فقد تضافر معها مجموعة من العوامل الأخري ساهمت جميعًا في الإيقاع به في هذه الحالة النفسية السيئة.

أما عن السؤال الثالث، والأخير وهو هل تجاوز الإمبراطور أغسطس هذه الأزمة النفسية؟ في واقع الأمر وكي أتمكن من الإجابة عن هذا السؤال فسوف أتناوله من خلال شقين أساسيين وهما: تجاوز الأزمة سياسيًا وتجاوزها نفسيًا.

إن قرارات الإمبراطور أغسطس عقب وقوع هذه الهزيمة مباشرة كفيلة بالإجابة عن الشق الأول وهو تجاوزه للأزمة سياسيًا، وفي هذا الإطار يمكن القول: أنه اتخذ مجموعة من القرارات الفورية بمجرد سماعه نبأ الهزيمة، ولقد حرص أن تشمل هذه القرارات ثلاثة محاور رئيسة ، ولكن قبل استعراض هذه المحاور يجب الإشارة إلى هنا إلى أمرين:

- **الأمر الأول:** نظرًا لأن الحالة النفسية التي مر بها أغسطس استمرت عدة أشهر طبقًا لما ذكره لنا سويتونيوس، ومن المعروف أن موقعة تيوتوبيرج وقعت في شهر سبتمبر، فمن

(١) **عن مسألة وراثة العرش في عهد أغسطس يمكن الرجوع إلى:** D. Shotter, Augustus Caesar, 82.

(2) Suet. Aug. 23.1.

المحتمل أن هذه الحالة النفسية قد استمرت معه حتى نهاية عام ٩م أي أنها استمرت معه ثلاثة شهور على الأرجح.

- **الأمر الثاني:** أن مجموعة من القرارات التي اتخذها أغسطس عقب سماعه نبأ الهزيمة تم تنفيذها وهو مصاب بحالة الإكتئاب أو الحزن الشديد، وبالتحديد القرارات المندرجة تحت المحور الأول؛ لأنها قرارات تم تنفيذها بشكل فوري. أما القرارات الأخري التي تندرج تحت المحور الثاني، والثالث فاستغرق تنفيذها مدة أطول، أي ببساطة قد يكون تم تنفيذها بعد تجاوزه لهذه الحالة النفسية، إلا إنني سوف أقوم باستعراضها؛ لأنه على الأقل اتخذها أثناء وقوعه في براثن هذه الحالة .

على أية حال، فإن قرارات أغسطس التي اتخذها وكانت تشمل ثلاثة محاور هي:

❖ **المحور الأول:المحافظة على أمن واستقرار روما:**

حرص أغسطس عقب وقوع هذه الهزيمة على تأمين روما والسيطرة عليها بشكل كبير؛ خشية اندلاع أي اضطراب بها، وفي هذا الإطار أصدر أربعة قرارات فورية وهي:

- **القرار الأول: أصدر أوامره بمراقبة المدينة بشكل صارم لمنع أي اضطراب عام.**
- **القرار الثاني: أطال فترة تعيينات الولاة في المقاطعات .**
- **القرار الثالث: تعهد بالاحتفال بالألعاب العظيمة تكريما لجوبيتر،ثم بعد ذلك احتفل بذكرى هذه الكارثة كيوم للحداد.**[١]

- **القرار الرابع: طرد العناصر الألمانية والغالية المقيمة في روما.**

اتخذ أغسطس قرار بطرد العناصر الألمانية والغالية المقيمة بروما وقت الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج ، وخاصة الذين يعملون في الحرس الإمبراطوري، فقد كان يخشي قيامهم بأي تمرد

(1) Suet. Aug. 23.1-2.

. hac nuntiata excubias per urbem indixit, ne quis tumultus existeret, et praesidibus prouinciarum propagauit imperium, ut a peritis et assuetis socii continerentur uouit et magnos ludos Ioui Optimo Maximo, si res p. in meliorem statum uertisset:. diemque cladis quotannis maestum habuerit ac lugubrem.

داخل روما، لذا قام بنفيهم إلى جزر معينة، أما بقية العناصر غير المسلحة فاستكفى بطردهم خارج المدينة.(١)

بالنظر للقرارات السابقة التي اتخذها أغسطس نجد أنه: اهتم بشكل كبير باحكام السيطرة على روما خشية اندلاع أي اضطراب بها، كما أنه أعطي ثقة لحكام الولايات بالتجديد لهم لاحكام السيطرة على هذه الأقاليم خشية اندلاع أي اضطرابات أيضًا. ولعل هذين الإجراءين يدلان على حنكة كبيرة وخبرة سياسية في التعامل مع هذه الأزمة الكبيرة، كما أنه أصدر أوامره بطرد العناصر الألمانية، والغالية في محاولة منه لإحكام السيطرة على روما وعدم ترك أي فرصة لإندلاع أي اضطراب داخل المدينة من هذه العناصر، ولعل هذا الإجراء في حد ذاته يعد خطوة احترازية، وبه وبُعد نظر بشكل كبير، فهو لا يريد ترك الباب مفتوحًا لحدوث أي احتمالات، فيكفيه ما حدث في المعركة.

كما أنه في نفس الوقت لم يلغِ الاحتفال السنوي بجوبتير كي يشعر الآخرين أن هذه المعركة مجرد هزيمة في جولة، وأن الحياة لابد وأن تستمر، وبل والأكثر من ذلك جعل يوم هذه الكارثة ذكرى للاحتفال بشكل سنوي في حالة منه للوفاء بجنوده القتلي في هذه المعركة، وكي يُذكر نفسه، ويُذكر الأخرين بضرورة اليقظة في التعامل مع القبائل الجرمانية وعدم نسيان ما فعلوه في نفس الوقت، وضرورة الانتقام من الالمان واستعادة هيبة روما ،(وهو ما حدث بالفعل بعد وفاة أغسطس بعام واحد فقط).

❖ **المحور الثاني : التفكير في حل سريع لمشكلة التجنيد :**

حاول أغسطس عقب الهزيمة مباشرةً التفكيير في طريقة لعلاج مشكلة عزوف الشباب عن التجنييد؛ لذا وفي البداية دعا الشباب للانضمام للجيش، وعندما لم أي يجد أي صدى لهذه الدعوة، اتخذ قرار بضرورة إجراء قرعة بهدف توقيع عقوبة على الذين يرفضون الانضمام للجيش، ولذا قام بتقسيم هؤلاء الشباب **إلى فئتين: الفئة الأولي: وكانت تضم الشباب دون سن الخامسة والثلاثين، والفئة الثانية: كانت تضم من هم تجاوزوا سن الخامسة والثلاثين.**

(1) Dio Cass 56.23.4.

ἔπεμψεν. ἐπειδή τε συχνοὶ ἐν τῇ Ῥώμῃ καὶ Γαλάται καὶ Κελτοί, οἱ μὲν ἄλλως ἐπιδημοῦντες οἱ δὲ καὶ ἐν τῷ δορυφορικῷ στρατευόμενοι, ἦσαν, ἐφοβήθη μή τι νεοχμώσωσι, καὶ τούτους μὲν ἐς νήσους τινὰς ἀπέστειλε, τοῖς δ᾽ ἀόπλοις ἐκχωρῆσαι τῆς πόλεως προσέταξε. ”.

وفي هذا الإطار يروي لنا ديوكاسيوس ما حدث حيث قال: أنه في ضوء الظروف التي فُرضت على أغسطس، وعندما لم يُبدى أي رجل ممن هم في سن الجندية استعداده للالتحاق بالتجنيد، فقد أجرى بينهم قرعةً، وحَرَم واحدًا من كل خمسة رجال ممن لا يزالون دون الخامسة والثلاثين، وواحدًا من كل عشرة رجال ممن تجاوزوا تلك السن، من ممتلكاته ومن حق التصويت(١)

ومعني ذلك أن بعدما قام أغسطس بتقسيم الشباب أجري بين كل فئة قرعة، فالشباب الذين كانوا من دون الخامسة والثلاثين كان يختار من كل خمسة واحدًا ويحرمه من ممتلكاته ومن حق التصويت، أما الشباب الذين هم أكبر من الخامسة والثلاثين كان يختار من بين كل عشرة واحدًا ويحرمه من ممتلكاته ومن حق التصويت، ولعل الدافع وراء ذلك هو فرض عقوبة على بعض الرافضين للانضمام للجيش، وحتى يُجبر الأخرين على القبول خشية وقوع هذا العقاب بهم.

وعلى الرغم من العقوبات التي فرضها أغسطس سواء على الذين دون سن الخامسة والثلاثين أو من تجاوزوها، لم يجد أي استجابة ورغبة في الانضمام للجيش وهذا في حد ذاته يؤكد حالة الخوف التي سيطرت على الشباب آنذاك عقب وقوع هذه الهزيمة، على أية حال، عندما لم يجد أغسطس أي استجابة للتجنيد، قام **بقتل البعض ممن لا يرغبون في الانضمام للجيش، ثم قام بإجراء قرعة بنفسه وقام باختيار أكبر عدد ممن أكملوا مدة خدمتهم العسكرية وأنهوها، ثم قام بتسجيل أسمائهم وأرسلهم على عجل مع تبريوس في حملة لتأديب القبائل الجرمانية.**(٢)

([1]) Dio Cass 56.23.2.

ὄφελος ἦν, ἐκεκάκωτο. ὅμως δ᾽ οὖν τά τε ἄλλα ὡς ἐκ τῶν παρόντων παρεσκευάσατο, καὶ ἐπειδὴ μηδεὶς τῶν τὴν στρατεύσιμον ἡλικίαν ἐχόντων καταλεχθῆναι ἠθέλησεν, ἐκλήρωσεν αὐτούς, καὶ τῶν μὲν μηδέπω πέντε καὶ τριάκοντα ἔτη γεγονότων τὸν πέμπτον, τῶν δὲ πρεσβυτέρων τὸν δέκατον ἀεὶ λαχόντα τήν τε οὐσίαν ἀφείλετο καὶ ”

([2])Dio Cass 56.23.3.

ἠτίμωσε. καὶ τέλος, ὡς καὶ πάνυ πολλοὶ οὐδ᾽ οὕτω τι αὐτοῦ προετίμων, ἀπέκτεινέ τινας. ἀποκληρώσας δὲ ἔκ τε τῶν ἐστρατευμένων ἤδη καὶ ἐκ τῶν ἐξελευθέρων ὅσους ἠδυνήθη, κατέλεξε, καὶ εὐθὺς σπουδῇ μετὰ τοῦ Τιβερίου ἐς τὴν Γερμανίαν ”.

❖ **المحور الثالث:إرسال حملة سريعة لتأديب الجرمان:**

كانت الخطوة العملية والأهم لمحاولة الحفاظ على هيبة الإمبراطورية الرومانية بعد الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج هو إرسال حملة تأديبية لهم بقيادة تيبريوس، وبالفعل تم إرسالها في مطلع عام ١٠م واستمرت لمدة عامين أي رجعت إلى روما عام ١٢م، وتمكن تيبريوس فيها من تحقيق بعض الانتصارات، وتدمير بعض المنازل وإحراق الحقول، وعاد بقواته دون خسائر، وعقب عودته لروما ، احتفل بالنصر في وجود أغسطس.[١] وفي الواقع لم يحقق تبريوس النصر الكامل على القبائل الجرمانية ؛ لأنه اقتنع بضرورة التخلي عن التوسع على حساب هذه القبائل والاكتفاء، بجعل نهر الراين حدا لها، ولكنه على الأقل حقق الهدف المرجو من هذه الحملة، وهو تأكيد الوجود الروماني في المنطقة، ومن ثم كانت هذه الحملة من باب ذَرُّ الرماد في العيون (إن جاز لنا هذا التعبير).

إن القرارات السياسية التي اتخذها أغسطس عقب الهزيمة تجعلنا نقول بأرحية تامة: أنه على الرغم من حزنه الشديد وإهماله في مظهره، إلا أنه حرص على التماسك والإتزان السياسي، وإظهار القوة في القرارات الفورية التي إتخذها؛ وحتي القرارات التي اتسمت بطابع طويل المدى في تنفيذها كانت قرارات قوية لحل مشكلة كبيرة كانت تؤرق روما وهي مشكلة عزوف الشباب عن التجنيد، كما أن الحملة التي أرسلها على عجل مع تبريوس كان الغرض الأساسي منها اثبات الوجود الروماني في المنطقة بالرغم من قسوة الهزيمة، ولقد نجحت الحملة في تحقيق هذا الهدف على الأقل.

على أية حال، إن التماسك والاتزان الذي اتصف به أغسطس في اتخاذه لهذه القرارات بالرغم من معاناته النفسية مرجعه من وجهه نظر الباحثة إلى خبرته وحنكته وشخصيته القوية، تلك الشخصية التي تجاوزت العديد من المواقف السياسية الصعبة خلال العديد من الحروب

(1)Velleii. Paterculi.2.120.2;Suet. Tib. 20.

التي مر بها، ومن ثم نجحت هذه المواقف في صقل شخصيته وإكسابها قوة وصلابة.[١]

كما لم تكن الحروب وحدها هي من أصقلت شخصية الإمبراطور أغسطس، فقدرته على تجاوز تنمر ماركوس أنطونيوس(٨٣ق.م-٣٠ق.م) على أصله في بداية مشواره السياسي [٢] ، كما وقوفه بصلابة أمام بعض خصومه السياسيين، وتجاوزه العديد من المواقف الصعبة، وقدرته على التخلى عن المشاعر في بعض المواقف في سبيل إرساء بعض القوانين والقيم التي

(١) خاض أغسطس الكثير من الحروب ، ولقد لعبت الحروب التي خاضها قبل أن ينفرد بحكم روما دورًا كبيرًا في صقل شخصيته وجعلها أكثر صرامة ولعل من أهم هذه الحروب: معركة فليبي عام ٤٢ق.م، حروبه في صقليه ضد سكستيوس بومبيوس في صقلية عام ٣٣٦ق.م،: ومما يؤكد صلابة شخصية أغسطس الحروب التي خاضها متحديا ظروف كل معركة، مقاوما لليأس في بعض لحظاتها وليس لأدل على ذلك عندما تحطم أسطوله في حربه مع سكستيوس بومبيوس في صقلية عام ٣٣٦ق.م أقسم على الفور أنه سوف يحرز النصر رغم أنف نبيتون (معبود البحر) وموقعة أكتيوم عام ٣١ق.م. للمزيد عن هذه الحروب يمكن الرجوع إلى:

Brunt, A Social Conflicts in the Roman Republic. New York, 1971; Sh. David, The Fall of the Roman Republic, London, 1994; E. Badian, Roman Imperialism in the late Republic,Oxford,1967; L. Andrew, the Constitution of the Roman Republic. Oxford, 1999; G. Rosenstein, Rome at War. Farms, Families, and Death in the Middle Republic,London, 2004; E. Rawson, The Cambridge Ancient History, Vol. 9: The Last Age of the Roman Republic, 146–43 B.C., Cambridge University Press, 1994; K. Lawrence, The making of the Roman army from Republic to Empire, London, 1998;) A. W. Lintott, ‘‘Imperial Expansion and Moral Decline in the Roman Republic‘‘, Historia, Vol.21, 1972.

(٢) تعرض أغسطس لحملة قوية من التشهير بأصله من قبل ماركوس أنطونيوس" (٨٣ق.م-٣٠ق.م). والإشارة أن أصله وضيع من ناحية جده لأمه وأن أصله إفريقي وكان عطارًا ثم خبازًا في حين كان جده لأبيه كان مرابيًا ،وغيرها من الكلمات القاسية التي هدفها التقيل من شأنه، صمد أغسطس أمام مثل هذه الحملات وتجاوزها بشكل فعلي، ولاشك أن تلك الأزمات أثقلت شخصيته بشكل كبير وزودته بالخبرة في التعامل مع المواقف الصعبة وهو في مقتبل عمره السياسي فدون شك. انظر:

Suet. Aug. 4.2

يرغب في نشرها داخل المجتمع الروماني، في محاولة للحفاظ على هذا المجتمع من التفكك والانهيار؛ ولعل قدرته على تطبيق عقوبة النفي على ابنته الوحيدة جوليا خير دليل على ذلك(١).

إن هذه المواقف سالفة الذكر ساهمت في صقل شخصية الإمبراطور أغسطس؛ ومن ثم أصبح قادرًا سياسيًا على تجاوز المواقف الصعبة، وبالإضافة إلى خبرته فقد كان لدية ذكاء وفطنة طبيعية كانت تمكنه من الكشف عن أي فخ أو كمين ينصبه العدو له.(٢) وبناء على ما سبق يمكن القول: أن الامبراطور أغسطس قد نجح في اجتياز هذه الكارثة سياسيًا، وتعامل معها بسرعة مليئة بالذكاء والخبرة، نتيجة شخصيته التي أصقلتها الأيام.

أما عن الشق النفسي في تجاوز هذه الأزمة، فيمكن القول: أنه لم يكن بالأمر السهل وقوع شخصيه قوية مثل أغسطس في هذه الحالة، حيث لم يستطع التعافي منه سريعًا إذا استغرق الأمر منه عدة أشهر على حد قول سويتونيوس، وإن كان هذا يبدو طبيعيًا فقد كان

(١) عاني المجتمع الروماني قبل تولي أغسطس الحكم من كثرة الممارسات غير الأخلاقية وبخاصة الخيانة الزوجية والزنا، ومع مرور الوقت أصبح الصمت إزاء الممارسات غير الأخلاقية هو سيد الموقف!.ونتيجة لحالة الصمت إزاء الممارسات غير الأخلاقية؛ فقد تفاقمت الأمور بشكل كبير، وانتشرت الفاحشة، والعلاقات غير المشروعة. ونجح بعض أبناء الطبقة العليا في وصم هذه الفترة بسلوكيات مليئة بالخزى والعار بشكل كبير. حتى يقوم "أوكتافيانوس"(أغسطس) بوضع مجموعة من التشريعات الاجتماعية التي كان يهدف منها: تغليظ العقوبات على مرتكبى الزنا، والحد من هذه الجريمة الأخلاقية النكراء. وظلت قوانين "أغسطس" الاجتماعية الخاصة بالزنا محاولة جادة للحد من هذه الرذيلة وشيوعها، خاصة إنه لم يتهاون في تطبيق هذه القوانين حتى على أقرب الناس لديه كما حدث مع ابنته "جوليا" التي طبق عليها عقوبة النفي نتيجة ارتكابها هذه الفاحشة. ويمكن القول: إن تشريعات "أغسطس" نجحت في أن تحد من الفاحشة في عهده ، وإن كانت الأمور ساءت بعد ذلك بشكل كبير من بعده. للمزيد يمكن الرجوع :

Suet. Aug. 34.1.c.f.also,C. Edwards, The Politics of Immorality in ancient Rome, London, 2002.

(٢) في إطار حروب أغسطس ضد القبائل الليرية عام ٣٤ق.م، قامت قبيلة لابيديسlapydes باجتياح أكويليا Aquileia، وقامت بنهب المستعمرة الرومانية تيرجيستيوس Tergestus، لذا قرر عقابهم، إلا أنهم قاموا بنصب كمين له في إحدى الغابات، وهو ما توقعه أغسطس حيث كان ساوره الشك ὑποπτεύω ، إن الشك الذي ساور أغسطس في إحتمالية نصب كمينٍ له في إحدى الغابات من قبل هذه القبيلة كان أحد وسائله الاحتياطية التي مكنته من الفتك بهذا الكمين. انظر:.App.Ill.,4.18;5.27

أغسطس في النهاية بشرًا لم يتمالك نفسياً أمام هذه الكارثة الكبيرة، وهذا لا يتناقض أبدًا مع تجاوزه لهذه الكارثة سياسيًا.

وفي النهاية يمكن القول: إذا كانت شخصية أغسطس القوية هي التي مكنته من التعامل السياسي مع هذه الأزمة بسرعة، فإنها نفس الشخصية التي مكنته من عدم الوقوع في براثن هذه الحالة النفسية طويلاً، إذ تعافى نفسيًا بعد عدة أشهر، عكس بعض الأباطرة الذين وقعوا في براثن بعض الحالات النفسية، ولم يخرجوا منها إلا بموتهم، نتيجة شخصياتهم الهشة.(١)

(١) لعل من أشهر الأباطرة الذين وقعوا في براثن بعض الحالات النفسية كان الإمبراطور دوميتيانوس الذي تعرض لمؤامرة عام ٨٩م من قبل الحاكم الروماني لولاية المانيا العليا، وعلى الرغم أنه اكتشف أمر هذه المؤامرة، إلا أنها تركت في نفسه المرارة، وزرعت حالة نفسية صعبة وأصبح لديه وسواس قهري وشك في كل من حوله لدرجة أنه كان يعيش في غرفة لا يخرج منها إلا نادرا، وكسا جدران هذه الغرفة بالزجاج حتي يستطيع أن يري من يقف خلفه حتى لا يطعن من الخلف، وأصبح لديه شك أنه لن يستطع العيش حتي ليوم واحد، لدرجة أنه كان يضع تفاحات على المائدة ويقسم لو عاش يومًا أخرًا سوف يأكلها، وسيطرت حالة من الشك عليه بشكل كبير لدرجة أنه لم يتمكن من الخروج من هذه الحالة النفسية وصار يشك فيمن حوله وحكم على الكثير بالاعدام حتي سقط في النهاية بعد أن تم تدبير مؤامرة له وتم قتله. للمزيد انظر:

Seut.Domt.16.

نتـــــائج البـــحث:

من خلال العرض السابق يمكن رصد عدد من النتائج المهمة:

- **أصابت الإمبراطور أغسطس حالة نفسية عقب سماعه نبأ الهزيمة في موقعة تيوتوبيرج، ولقد وصفها المؤرخ سيتونيوس بشكل دقيق**

- **كانت الحالة النفسية التي أصابت أغسطس تشمل مشاعر القلق والحزن، وعدم الاهتمام بالنفس ولا بالمظهر الخارجي لأنه ترك شعر رأسه ولحيته شهورًا، كما أنتابته بعد الهلاوس ؛ حيث كان ينادي على جنوده الموتي بضرورة الرجوع.**

- **توصلت الباحثة إلى أن هذه الحالة النفسية التي ألمت بالإمبراطور أغسطس كانت إكتئابًا جزئيًا مصحوبًا بالهلاوس، وقد توصلت لذلك من خلال عقد مقارنة بين تعريف الإكتئاب وما جاء على لسان سويتونيوس.**

- **تجمعت مجموعة عوامل أدخلت الإمبراطور أغسطس في حالة الإكتئاب التي استمرت معه عدة شهور، من هذه العوامل: شراسة القبائل الجرمانية، التنكيل بالجنود الرومان، عزوف الشباب عن الانخراط في الجندية، وتقدم عمر الإمبراطور.**

- **بالرغم من قسوة معركة تيوتوبيرج، وخسران أغسطس حوالي ٢٠ ألف جندي بها إلا أنه استطاع تجاوز هذه الأزمة النفسية ولم تستمر معه سوى عدة أشهر ولم تؤثر على قراراته، واستطاع تجاوز هذه الأزمة بفضل شخصيته القوية .**

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً قائمة المصادر:

Appian:	**Civil Wars, Horace White. London. Macmillan and CO., LTD. 1899.The Foreign Wars. Horace White. New York. The Macmillan Company. 1899.**
Caesar:	**Caesar's Gallic War. Translator. W. A. M.Devitte. Translator. W. S. Bohn. 1st Edition. New York. Harper & Brothers. 1869. Harper's New Classical Library.**
Dio Cassius:	**Dio's Roman History. Cassius Dio Cocceianus. Earnest Cary. Herbert Baldwin Foster. William Heinemann, Harvard University Press. London; New York. 1914.**
Florus	**Lucius Annaeus Florus, Epitome of Roman history. Florus, Lucius Annaeus. Edward Seymour Forster. London: William Heinemann; New York: G.P. Putnam's Sons. 1929.**
Q. (Horace Horatius Flaccus	**Satires, Epistles and Ars Poetica. H. Rushton Fairclough. London; Cambridge, Massachusetts. William Heinemann Ltd.; Harvard University Press. 1929.**
Livius:	**Livius. With An English Translation. Cambridge. Cambridge, Mass., Harvard University Press; London, William Heinemann, Ltd. 1940: no copyright notice.**
Polybius:	**Histories. Polybius. Evelyn S. Shuckburgh. translator. London, New York. Macmillan. 1889. Reprint Bloomington 1962.**
Seneca the Elder	**Annaei Senecae Oratorum et rhetorum sententiae divisiones colores. Seneca the Elder. Adolf Gottlieb Kiessling. in aedibus B. G. Teubneri. Leipzig. 1872.**
Seneca the Younger	**Ad Lucilium Epistulae Morales, volume 1-3. Seneca. Richard M. Gummere. Cambridge. Cambridge, Mass., Harvard University Press; London, William Heinemann, Ltd. 1917-1925.**
Strabo	**Strabo. ed. H. L. Jones, The Geographyraphy of Strabo. Cambridge, Mass.: Harvard University Press; London: William Heinemann, Ltd. 1924.**

Tacitus	**Complete Works of Tacitus. Tacitus. Alfred John Church. William Jackson Brodribb. Sara Bryant. edited for Perseus. New York. : Random House, Inc. Random House, Inc. reprinted 1942.**
Velleius Paterculus	**Historiae Romanae.**
	ثانيًا :المراجع الأجنبية:
Andrew.L	**The Constitution of the Roman Republic. Oxford, 1999.**
Badian.E	**Roman Imperialism in the late Republic,Oxford,1967.** **.**
Brunt.A	**Social Conflicts in the Roman Republic. New York, 1971.**
Campbell.B	**war and socity in Imperial Rome,31 BC–AD 284,London,2002.**
David.sh	**The Fall of the Roman Republic, London, 1994.**
Edmondson. J.	**Augustus, Edinburgh University Press,2009.**
Edwards.c	**The Politics of Immorality in ancient Rome, London, 2002.**
Emilio.G	**Republican Rome, the Army and the Allies. Oxford, 1976.**
Erdkamp.P	**Acompanion to The Roman Army, Oxford, 2007.**
Goldsworthy.A	**AugustusFirst Emperor of Rome, London, 2014.**
.Keppie.L	**The Making of the Roman army From Republic to Empire, London,1984.**

Levick. B.	**Tiberius The Politican, London and New York,1999.**
Lintott. A. W.	**Imperial Expansion and Moral Decline in the Roman''Historia, Vol.21,1972.**
McLaughlin. R.	**Rome and the Distant East Trade Routes to the Ancient Lands of Arabia, India and China, London, 2010.**
Rawson.E	**, The Cambridge Ancient History, 2nd Ed., Vol. 9: The Last Age of the Roman Republic, 146–43 B.C., Cambridge University Press, 1994.**
Rosenstein.G	**, Rome at War. Farms, Families, and Death in the Middle Republic, London, 2004.**
Seidman.J	**Rememberring the Teutoburg forest Monvmenta in Annals 1.61, journals.cambridge.org/rmu,2014.**
Shotter. D.	**Augustus Caesar, London and New York, 1991**
……	**. Tiberius Caesar, New York, 1992.**
Syvanne.I	**, The Disaster at Teutoburg Forest in September 9 AD, Saga Newsletter 119 on June 2009**
Wegen.P	**Augustus and the PrincipateThe Transformation From Republic to Empire:The Unique Properties of the Principate,London,2012.**
Wells. P. S.	**The Battle that stopped Rome, London, 2003.**.
Wolters.R	**Die Schlacht im Teutoburger Wald, Arminius, Varus und das römische Germanien (2017)**
	ثالثًا: المراجع العربية:
	رجب سلامة عمران:مصطلح الشعوب المحبة للقتال*Bellicosissimae gentes* في المصادر اللاتنية، مجلة المؤرخ المصري، عدد يوليو ٢٠١٨م.

سيد أحمد الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٩١	
كريمة رمضان رفاعي:الكمائن في الحروب الرومانية خلال العصر الجمهوري(٢١٨ق.م-٢٩ق.م)،مجلة وقائع تاريخية، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات التاريخية، العدد الثاني والثلاثون- الجزء الأول، يناير ٢٠١٩م.	
رابعاً: المعاجم ومواقع الانترنيت: المعجم الوسيط، ج١، ط٢.	
.www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Diseases/Mental/Pages/005.asp	

شكل رقم (١)

سيد أحمد الناصري: تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، القاهرة ،٨٨.